الفتح
صحيفة إسلامية علمية أخلاقية

العدد ٦ ، الخميس ١٢ محرم سنة ١٣٤٥ – ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٦ (السنة الأولى)

العلم والدين
في نظر الدكتور طه حسين

نشرت (السياسة الأسبوعية) بعددها الصادر في ١٧ يوليو سنة ١٩٢٦ مقالاً (للدكتور طه حسين) تحت عنوان «العلم والدين» أثبت فيه أن بين العلم والدين خصومة وأنه ليسه بينهما ما يمكن أن يسمى اتفاقاً بحال. وذكر أن هناك أمرين عظيمي الخطر يثبت كل منهما تلك الخصومة ويؤكدها:

الأول: (أن الدين حين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء ويأخذ الناس بالإيمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله ولم يصل بعد إلى إثبات نبوة الأنبياء وإذا فبين العلم والدين خصومة في هذين الأمرين يثبتهما الدين ولا يعترف بهما العلم).

ذلك ما يقوله الدكتور طه فهو يؤكد أن بين الدين والعلم خصومة بينه وبين الدين. التبس على الدكتور ما يراد بلفظ العلم واختلط عليه مفهومه وما صدقه فلفظ العلم يطلق تارة على ما يثبت الاختبار والتجربة وهذا هو المراد حينما يستعمل في مقابلة الدين ويطلق تارة أخرى ويراد منه مجموع المباحث التي تناولها الفكر الحديث من نظريات ثبتت أو لم تثبت وفروض قريبية الاحتمال أو مستبعدة ومن آراء شخصية ومذاهب فلسفية خاصة وهو بهذا الاطلاق يشمل الأوهام والخيالات والظنون والحكايات أيضاً.

فأما المعنى الأول للعلم وهو الخاص بما تثبته التجربة ويؤيده الاختبار فليس بينه وبين الدين خصومة بحال من الأحوال لأنه يشتغل في ناحية لا تناقض الدين ولا تقع في دائرته: اكتشف جزءاً من أجزاء الكون وهو ما نالته التجربة ووقف على كمياته وكيفياته وانتفع بها في الحياة فهو يسير خلف التجربة، فكل ما تكتشفه التجربة يثبته ويصوره لنا بصورة تنطبق عليه وتأتي الفلسفة بعد ذلك فتضع هذا التصوير في ميزان التقدير وتعطيه حقه من الرجحات أو التأكيد حسب مبلغ الاستقراء الذي قام به الباحثون في تلك المسألة المقدرة –من الوصول إلى درجة الاستقراء التام أو الاستقراء الناقص...

وواضح أن العلم بهذا الاطلاق بيس من مباحثه إثبات وجود الله ولا إثبات نبوة الأنبياء لأنهما ليسا مما ينال بالتجربة أو يقع تحت الاختبار، فطبيعة العلم الطبيعي لا تتناول أمثال هذا المباحث ووظيفة العلم الطبيعي لم تخلق لبحث تلك المسائل ولا عيب يلحق العلوم الطبيعية إذا لم يتناولها العلم الطبيعي لأن للمعارف طرقاً غير التجربة والاختبار. ولو أن المعارف حصرت طرائقها في التجربة واعتبر كل مالم تتناوله التجربة غير صحيح لما كان بأدي الناس من المعارف المؤكدة غير ما جرب في المعامل واختبر في المصانع وهو مقدار يسير جداً إذا قيس بمعارف البشر.

فالحق المؤيد بالدليل أن للمعارف طرائق متعددة منها التجربة، وقد اختصت بها العلوم الطبيعية. ومنها البرهان والقياس وعليه مدار العقل البشري منذ ظهر التفكير إلى اليوم.

من هنا يتضح أنه ليس بين العلم الطبيعي الثابت بالتجربة وبين الدين خصومة.

نعم بين بعض المذاهب الفلسفية –أو المذاهب العلمية التي دخلتها الفلسفة- وبين الدين خصومة،ولكن هناك فرقاً واضحاً بين العلم الثابت بالتجربة وبين ذلك المذهب الوهمي الذي لم تؤيده تجربة ولم يقم على استقراء، بل يعترف صاحبه بأنه ظن ووهم.

فالخصومة بين تلك المذاهب الوهمية وبين الدين لا تضر الدين ولا تنال منه لأنها ليست علماً بل خيالاً ووهماً. وكذلك علم الجيولوجيا فإن المحققين من علمائه يؤكدون أن لم يصل بعد إلى درجة العلم التجريبي وأنه لا يزال مملوءاً بالأوهام. وعلم هذا شانه لا يدخل بتفاصيله في مسمى العلم الواقعي إذا فرضنا أن بين بعض نظرياته وبين القرآن خلافاً، فلا ضرر يلحق هذا الدين من وراء هذا الخلاف لأنه ليس خلافاً بين علم ودين بل هو بين وهم ودين. والوهم لا يلتف إليه في أمر النزاع والخصومة: كذلك علم الإمبريولوجيا فإنه لا يزال في دور التكوين، فمناقضة بعض نظرياته لما ورد في القرآن الكريم من تكوّن الجنين لا تنال من القرآن ولا تضره.

على أن القرآن لم ينزل ليعلم الناس شيئاً من المباحث التي تتعرض لها العلوم وإنما نزل للهداية والارشاد، فهو إذ قال: «ألم تروا كيف خلق اللهُ سبعَ سموات» الآية، لا يريد أن يقرر أن السموات سبع فقط وأن عددها لا يزيد ولا ينقص كما تقرر مثل هذا المراصدُ ويتكلم فيه علم الفلك، بل يريد لفتَ العقل إلى أن كيفية خلق السموات ينبئ بجلال خالقه وكمال مبدعه وإلى أنها في ذاتها مخلوقة لا خالقة كما كان يعتقد عباد الكواكب إذ كانوا يعبدونها ويخصون عبادتهم بالكواكب السبعة، فما ذكر القرآن عدد السموات إلا للتنبه على أن الكواكب السبعة مخلوقة لا خالقة ومألوهة ليست آلهة، وهو من هذه الناحية لا يناقض ما يثبت من أنا هناك كواكب أكثر من سبعة لأنه يريد الرد على من يزعم أن هذه السبعة خالقة بقوله أن هذه السبع مخلوقة.

ولو أن الدكتور وأمثاله فهموا القرآن على حقيقته لعلموا أنه ما جاء ليخوض فيما خاض فيه علماء طبقات الأرض والباحثون في تكوين الجنين والباحثون في علم الفلك والهيئة، وإنما جاء للهداية وإرشاد العقل إلى ما فيه صلاحه... ولو أنهم فهموا كذلك أن العلم التجريبي شيء والعلم بمعناه العام شيء آخر وأن الأول لا يناقض الدين ولا يخاصمه وأن الثاني لا تضر الدين مخاصمته ولا ينال منه نزاعه معه لأنه ليس قائماً على الاستقراء والتجربة وأن للحق طرائق غير التجربة وأن من تلك الطرائق البرهان وأن الإسلام يعتمد على البرهان –لو علم بكل ذلك لأراح الناس من كتابة هذا المقال ولفهم ما بين الدين والعلم الصحيح من العلاقة أو الانفصال.

وموعدنا بالرد على بقية المقال المقالة الثانية.

عبد الباقي سرور نعيم

جامع الحاكم

اعتمدت وزراة الأوقاف المصرية مبلغ ١٢٠ ألف جنيه مصري لإصلاح جامع الحاكم بأمر الله ابي علي منصور بن العزيز [بالله] نزار، ونيط القيام بالإصلاح والترميم بقسم الآثار العربية في وزارة الأوقاف.

وجامع الحاكم هذا من مفاخر العمران في زمن الدولة الفاطمية، أنشئ سنة ٣٩٣هـ، وأطلق عليه في ذلك العهد اسم (الجامع الأنور) أو (جامع الحاكم) نسبة إلى الخليفة الذي أنشاه.

وكان هذا الجامع في زمن الفاطميين أحد الجوامع الأربعة التي لا يخطب الخليفة إلا في واحد منها، وهي: الجامع الأزهر، والجاكامع والأنور، وجامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون. وفي صفحة ٩-١٠ من رسالة (الأزهر) لصاحب امتياز هذه الصحيفة وصف لمراسم الخطبة في هذه الجوامع زمن الفاطميين.

وبلغ من علو شان الجامع الحاكمي بعد الفاطميين، ولا سيما في زمن صلاح الدين الأيوبي، أن الخطبة لم تكن تقام في القاهرة إلا به، لأن القضاء في المملكة المصرية كان للشافعية، والشافعية يمنعون تعدد الخطبة في مدينة واحدة، فرجحوا اختصاص جامع الحاكم بها لأنه أوسع المساجد، وكانت مساحته ٣٦٠٠٠ ذراع [مربع].

وإن عناية وزارة الأوقاف الآن بتجديد شباب هذا الجامع الأثري العظيم، وإعادة رونقه إليه لمما تستوجب عليه الشكر الجزيل والثناء الجم. وحبذا لو اقتدت بها في مثل هذا العمل حكومات العراق والشام وفلسطين وسائر البلاد الإسلامية.

الامتيازات الاقتصادية في الحجاز

قرر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة ما يأتي: «حسماً للتدخل الأجنبي الغير الإسلامي في هذه البلاد المقدسة يرى هذا المؤتمر أن لا تعطى امتيازات اقتصادية إلى غير المسلمين في الحجاز.

وعلى الحكومةالحجازية اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لاتقاء الوقوع في شراك الامتيازات الأجنبية مباشرة أو بأية واسطة كانت. وأن تزاد في آخر كل اتفاقية تعطى لأي مسلم أو أية شركة إسلامية هذه الجملة: (المرجع في كل ما يقع من الاختلاف بين الفريقين هو المحاكم الحجازية، وكل فريق منهما مجبور على قبول أحكامها بدون اعتراض)، وليس للمساهمين بيع أسهمهم لشركات أجنبية».

الجرائد أمس واليوم – والإلحاد
(الفتح) والكلام مع الأمة من أجله
لعالم جليل من علماء الأزهر الشريف

مضى زمن كانت فيه كبريات الجرائد العربية الإسلامية، مثل المؤيد واللواء، وكان مديرو تلك الجرائد مسلمين يحترمون الإسلام ويدينون به ويغارون عليه، فكان إذا نشر فيهم شيء من الدينيات نُشِرَ صحيحاً لا غلط فيه ولا تحريف، وكانت إذا نشرت كلمة فيها مساس بالدين وفات مدير الجريدة أن يراها لا تلبث أن ترى الردود عليها تتوالى مبينة ما فيها من فساد أتم بيان، وكان بعيداً بُعد السماء عن الأرض أن تهمل كلمة رد، بل كان اصحاب الجرائد يتولون بأنفسهم الرد إذا لم يرد أحد، ذلك لما لهم من الغيرة على الدين وبما لهم من بعد النظر وجميل المظهر أمام الأمة. وكانت إذا انحرفت جريدة من تلك الجرائد الأخرى، ووقف الجميع إزاءها موقف العدو الألد، ولا يزالون كذلك معها إلى أن تثوب إلى رشدها مضطرة مقهورة. ومن هذا كانت تمحص الحقائق ويظهر جيدها من رديئها. وغير خافٍ مبلغ ما يلحق الكاتب من خجل إذا تبين بُعده عن الحق على رءوس الأشهاد في الجرائد السيارة حيث تشرف الأمة فكانت هذه الطريقة كفيلة بوقف كل امرئ عنده حده، وحاملة كل من يريد الكتابة في أي موضوع ديني على أن يشبعه بحثاً وتنقيباً قبل أن يكتب، حتى غدا ما أرسل عنان القلم في ميدان التحرير انطلق مستقيماً لا يؤخذ عليه أي زيع في أي موضوع. وبذلك كانت الجرائد أداة صالحة لأن يتلقى عنها قارئوها للعقائد السليمة من الزيغ والخطل، والعلوم الصحيحة البعيدة عن الخطأ بعد النور من الظلمة، فكنتَ إذ ذاك تستطيع أن تقول إن الجرائد إذا انتشرت تبعث معها من ضياء العرفان ما تتبدد به ظلمات الجهل. لهذا كانت الأمة في حياة دينية أي حياة، وفي حماس إسلامي يسر المؤمنين ويحزن أعداء الإسلام. ومن أجل هذا لم يرتفع في ذلك العهد رأس ملحد، ولا استطاع أن يبدي صفحته للناس أي زائغ.

* * *

مات أولئك الصحفيون الأجلاء، وماتت جرائدهم بموتهم، وتلك المبادئ النبيلة أصحبت في خبر كان وأصبحنا في زمنٍ جرائده غير ما تعهد من الجرائد، ومديروها ليسوا من نعرف، أو قل أن الأمر أصبح معكوساً عسكاً كلياً، بمعنى أنك غدا وافيت مديراً من مديري كثير من جرائدنا بكلمة كفرية تريد نشرها لم يكن بينك وبين ذلك إلا أن تصل غلى يد مدير الجريدة، وليست تنشر نشراً عادياص بل يتقدمها تقريظ طويل عرض بحرف ضخم لحضرتك حيث أنك نبغت هذا النبوغ ووصلت إلى هذا المقام مقام التحقيق والتدقيق في الالحاد، وكلما كان كلامك أشد كفراً كلما كان الإسراع إلى نشره أشد، وكان تقريظك أجل وأعظم، وأما إذا ناولته كلمة تنعش بها فضيلة أو تقضي على رذيلة فهذه لا شك أن نصيبها أن تضاف إلى المهملات بعد أن تمزّق أحقر تمزيق. وكن على يقين لا يشوبه أدنى تزلزل أنك إذا أردت أن ترد على كاتب الكفر الصريح بكلمة كلها أدب واحترام فنصيبك من مديري تلك الجرائد خذلانك أما ذلك الكافر بعد نشر كلمتك إذا أخذها منك المدير، وقد لا يقبلها منك من أول الأمر معتلاً لك بألف علة. وقد جربنا ذلك بأنفسنا وتحققناه حق التحقق. لا أننا نقول ذلك تخميناً أو نقلاً عن غيرنا. وكذلك إذا تحسمت للفضيلة فكتبتَ كتاباً لم ير الدهر مثله انتصاراً للحق وخذلاناً للباطل وأهديته إلى تلك الجرائد لتذكره في المطبوعات ليلتفت إليه الناس فينتفعوا به، إذا فعلت ذلك فكن واثقاً الوثوق كله أن الكتاب يؤخذ منك وتناول الشمس أقرب إليك من رؤية إشارة إليه في تلك الجرائد. وأما كتب الكفريات فهذه بمجرد ظهورها تدندن حولها الأقلام أياماً وأسابيع وأشهراً، وينعت مؤلفوها بالمجددين والمصلحين والمحققين، وينتهز الكُتاب الأجانب فرصة ظهورها فينقلون بطريق البرق أخبارها إلى أممهم الذين ينتظرون عثرة لمسلم ضد الإسلام فيتخذونها حجة، ويرددون صدى جرائدنا المتقدم ذكرها، ويزيدون عليها ما تقتضيه عداوتهم للإسلام والمسلمين. ولقد أصبح معروفاً بيننا أن من يريد أن يذاع اسمه في مشارق الأرض ومغاربها ويصبح من أغنياء العالم فليكتب كتباً يضمّنه نزعات كفرية، ثم بعد ذلك ينام، وكتابه هذا يكون كنزاص له لا يفنى بضل عناية مديري جرائدنا وغيرها به العناية التي يعجز صاحب الكتاب عنها لو تولى هو إجراء الوسائل المرغبة في كتابه المهيجة على اقتنائه..

هذا الصنيع من جرائدنا ورجالها كان سبباً عظيماً في اجتراء الجهلة والملحدين على كتابة ما يريدون ونشره بين العالمين. وهنا يقولون لو لمْتهم على نشر مثل ذلك «النشر الحرّ» وأصبح الرجل العاقل إذا كتب كلمة يغار بها على الدين بين أمرين أحدهما مر: إما إهمال كلامه كما ذكرنا، وإما نشره وهو الداهية العظمى أو الطامة الكبرى. ذلك أن كلمته تنشر يتقدمها ما يتقدمها من تصغير لشأنها وتعريض لكرامة كاتبها، ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل بمجرد نشرها ولو لشيخ الإسلام (كما حصل مراراً) يتلقفها عصبة من الفتيان والفتيات العصريين المتمدنين –أجارك الله- ويفعلون بكاتبها الأفاعيل. ولو حققت أمرهم لعرف أن أحدهم من الجهل بدرجة تخيف، ولو كلفته أن يفهّمك كيف يدخل ويخرج من بيت الخلاء ما أحسن أن يقول شيئاً، وإنما نبوغه كله في الخروج على الشرائع وأهلها.

لهذا انكمش أهل العلم في بيوتهم، وخزنوا ألسنتهم في أفواههم أن تنبس ببنت شفة، وحطموا أقلامهم وعرفوا أن هذا دور خارق للعادة، وبعيد عن الحق، وعدو للدين، وعامل من أكبر العوامل لقوة شوكة الإلحاد والملحدين. ولو دام الحال على هذا المنوال لكان من الضرر أضعاف أضعاف ما نصرخ به الآن، ويكون ذلك نتيجة تمادي تلك الجرائد في حرب الإسلام. وليس

أمامها جريدة واحدة بالمعنى الذي يسرّ الإسلام تقف تيارها أو تعدمه. والجريدة الوحيدة الإسلامية تكفي وتكون فوق الكفاية لأن للحق قوته وللباطل ضعفه، فمهما كثرت أنصار الباطل فنصير واحد للحق يظهر عليها ويعلو. إذن عدم جريدة إسلامية تغار على الدين وترد عنه غارات الملحدين والجاهلين كان كارثة من أشد الكوارث التي نزلت بالإسلام والمسلمين، وكان إهمالاً قبيحاً من الأمة لدينها، بل كان عوناً لأعداء الدين عليه، فإنه إقرار لهم على ما يفعلون به.

وهل ينتظر المسلم في خذلان دينه وقوة عدوه أكثر من أنه ينشر في الجرائد الكبرى أن دين الإسلام أصبح عتيقاً لا يناسب هذا العصر الحديث، وإنما تناسبه النظم الغربية الحديثة. وينشر فيها أن حضرة مولانا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لم ير الوجود ولن يرى اشرف ولا أفضل ولا أكمل منه- كان من عشاق المُلك، والعاملين على توطيده بالقوة، وحربه الذي كان منه ما كان في سبيل الله ولا بأمره ولا ابتغاء رضاه، وإنما كان من عند نفسه وتبعاً لهواه يتوسع به في الملك. أي أن ذلك النبي الكريم كان يسفك الدماء ويسبي النساء والأطفال ويضرب الجزية في سبيل شهواته الحيوانية، حاشاه صلى الله عليه وسلم ثم حاشاه. وإنما الجهل هو الذي قال ذلك، وانطماس عيون البصائر، وغفلة عن أوامر القرآن مستحكمة، أو تكذيب للقرآن من أصحاب هذا الرأي، كما صرحت طائفة أخرى بذلك فقالت في كتاب طبعته ونشرته أن القرآن يخبر أخباراً كاذبة ويحكي أساطير الأولين وغير ذلك مما نشر في الجرائد، ولعل نقل كله مما يتعذر لكثرته، وإنما ذكرنا ما تقدم أمثلة يعرف بها القارئ إلى أي حد وصلت وقاحة الملحدين، وإلى أي حد وصل حرب تلك الجرائد للإسلام والمسلمين، مع أنها تطبع في بلادنا، وتنشر بيننا،وعلى أموالنا نشأت ودرجت وكبرت. والغريب أننا نتهافت على شرائها كما يتهافت الفراش على النار.

ولما عظم الخطب وجل مصابنا في ديننا إلى درجة ما شرحنا، لم ير رجال من خيار هذه الأمة بداً من أن ينشئوا جريدة تسد ذلك الفراغ الذي كان بموت ما ذكرنا من الجرائد الإسلامية ورجالها، وتكون وظيفتها الدفاع عن الإسلام ورد عادية المعتدين عليه، والرجوع به إلى ما كان عليه من عز، بعرض محاسنه الباهرة على أنظار العقول. وقد ظهر ولله الحمد من حيّز النية إلى حيّز الفعل ذلك المشروع الجليل، فصدرت جريدة أسبوعية في مصر صاحب امتيازها (محب الدين أفندي الخطيب)، ذلك الرجل الذي يتوقد غيرة على دينه، ورئيس تحريرها عالم فاضل من علماء الأزهر الشريف، معروف بتفانيه في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، ذلكم هو فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الباقي سرور نعيم. والجريدة ينفق عليها من مال رجال ينم عن مبلغ فضلهم وقدر حبهم لدينهم وغيرتهم عليه إصدار هذه الجريدة ، بل هذا العمل برهان ساطع على صدق إيمانهم الصدق الذي لا يشاركون فيه، وإلا ما سبقوا هذا السبق إلى هذا العمل النبيل في هذا الوقت العصيب. وإنك لتجلس اليوم في المجلس الواحد فتسمع أماني كثيرة من أفراد كثيرين كلها تدور حول التوجع على الإسلام والتباكي على ما وصل إليه من ضعف ووهن، واقتراح مشروعات جليلة تعود بفوائد عظمى عليه، ولكنها اقتراحات كما قلتُ ليست إلا أماني كل ما وصلت إليه أن اللسان ينطق بها، ولم يبرز إلى الوجود اقتراح واحد منها، ومن الشقاء أن يكون عمل الناس قولاً.

ولكن ماذا يقول القارئ في رجال لم يتصدروا المجالس ويطلقوا عنان ألسنتهم في ميادين تلك الأماني ثم لم يشعر الناس إلا وعملهم يروح ويغدوا على الناس يخطب ودّهم وينتظر إقبالهم عليه والانتفاع به، هل رأى الناس جريدة (الفتح) التي أرجو أن يفتح الله بها عيوناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وأن يقضي بها القضاء الأخير على دولة الإلحاد والملحدين. أنا أسأل الناس هل رأوا تلك الجريدة الفريدة عضد الإسلام وعونه؟ وأما قراءتها فلا يخطر على بال أنها كانت، لأن الناس –هداني الله وإياهم- في شغل شاغل بالروايات الغرامية التي رواية واحد منها فقط تكفي لفساد أخلاق اقطار وفي شغل عظيم بجرائد وكتب الإلحاد والملحدين. وأما صحيفة دينية (كالفتح) فأخشى أن تلاقي منهم ما تلاقيه أخواتها الكتب الدينية من إعراض قبيح.

حل الباطل قلوب الناس ففسد مزاجهم الديني فساداً لس بعده فساد، ولا أدري كيف يعالج ذلك. ومن شاء فلينظر كيف تخطف الناسُ الروايات التي تطبع بالملايين ولا تلبث أن تنتهي لا يبقى في الوجود منها نسخة. وينظر كتاباً دينياً كله جواهر علوم تستحق أن تكتب بماء الذهب وليعرض ذلك الكتاب على الناس وليُعلن عنه ألف إعلان ويسأل بعد ذلك هل سأل عنه أحد وإذا حصل ذلك فكم نسخة منه طُلبت. إن من ينظر هذا لا يسعه إلا أن يبكي. وكيف لا يبكي وحال الدين وكتب الدين ما ذكرنا، وحال الإلحاد والملحدين ما نصف. هذه مصيبة دينية كبيرة تحتاج لالتفات من المسلمين عظيم، وعلاج لهذه الحالة عاجل حاسم. وقد شرع منشؤو (الفتح) في ذلك العلاج بإصدار الفتح يقرأه الناس ويستنيروا بأنوار دينهم، فهل يا عباد الله سيكون نصيب جريدة الفتح عندكم نصيب الكتب الدينية من الإهمال، فيضيع علاج الناس وتذهب مجهوداتهم سدى وتكون الأمة بذلك برهت أبلج برهان على أنها لفظت النفس الأخير دينياً، ولم تعد تقبل الحياة؟ أم أنتم ناصرو تلك الجريدة وعاملون على الإقبال عليها بكل ما تستطيعونه؟ ذلك هو الواجب عليكم، خصوصاً في مثل هذا الموق الحرج. ولو أنصف الناسُ وقدروا الحال التي نحن فيها قدرها لكان في يد كل إنسان نسخة من الفتح يحارب بها تلك الجيوش الجرارة التي تزحف على غزو الإسلام والمسلمين. وأنا كفيل بالنصر الباهر لمن يستصحب الفتح وحده أما تلك الجيوش الإلحادية ومهاجماتها المستمرة.

بقيت في نفسي كلمة أنا في وجل شديد من النطق بها لذا أراني متردداً في الجهر بها كل التردد وإني أنطق بها وأمري إلى الله فإنها دعوة إلى خير عظيم. تلك الكلمة هي هي هي هي هي (ما هش راضية تطلع!) هي الاشتراك في الفتح، فهلا تسمح نفس رجل يدعي الإيمان بستين قرشاً اشتراكاً سنوياً في هذه الجريدة التي لا قصد لمنشئيها إلا نصر الإسلام، وهل من ذي غيرة ينافس أولئك الأبطال وينضم إلى صفهم مجاهداً بقليل من ماله كل سنة؟ أنا أرجو أن يفعل المسلمون ذلك، وألحّ في الرجاء ولا

أرضى لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يرى بعينيه رجالاً يخوضون بأنفسهم وأموالهم غمار حرب كبرى مع أعداء الإسلام ثم يكون نصيبه أن يقف (متفرجاً) عليهم كأنه لا يعنيه من الأمر شيء ، وإنما الذي أحبه لكل مؤمن أن يندفع وراء أولئك الغطارفة الأماجد ويحوطهم بنفسه ويقابل في نحره ما يصوبه إليهم أعداؤهم لتطول حياتهم فإنهم فئة المسلمين اليوم، إليهم يلوذون وبهم يقوون. وإذا كان ذلك فإنه لم يكن وأبيك إلا هنيهة حتى ينهزم الالحاد والملحدون ولا يلوون على شيء. ويكلفي الله الإيمان والمؤمنين شرَّهم.

أدعو تلك الدعوة بوازع ديني لم يشر لي واللهِ واحد من مُصدري الفتح أن أدعوها بل الذي أعلمه وأتحققه أنهم بحمد الله وفضله أغنياء عن أن يشاركهم في عملهم مشارك، بل الذي يودونه أن ينفردوا وحدهم في هذه المعمعة بالجهاد ولكن من يرى الخير أمامه ويستطيع البعد عنه ولا يزاحم أهله بما يمكنه؟

وإني ليحزنني أن أرى أغنياءنا – وهم كثيرون- ما بين رجل حكم عليه الشح بالحرمان من الانتفاع برزقه الواسع حرماناً كلياً، وأقامه حارساً عليه بلا أجر يسلمه لورثته عند موته كاملاً غير منقوص: عليه غرمه، ولهم غنمه. وما بين رجل ساقه تبذيرُه وإسرافه إلى كل جريمة تغضب الله تعالى، وإذا شعر بما لعله يكون وراءه إنفاق قرش واحد في سبيل خيرٍ انقبض قلبه واقشعر جلده وفرّ هارباً كأنما يطلبه أسد مفترس. ولقد برهن مصدرو (الفتح) أن بيننا أغنياء هيّن المال عندهم في سبيل الخير فهل من الممكن أن ينضم إليهم بعض من أرباب الآلاف والملايين، لعل الجريدة تنتقل من أسبوعية إلى نصف أسبوعية ، أو إلى يومية، وهل لمن دعوناهم إلى الاشتراك في (الفتح) من السواد الأعظم من الأمة أن يلبوا دعوتنا؟ ذلك ما ننتظره بتلهف.

(مؤمن)

(الفتح) – ننشر بعاطفتي الخجل والشكر معاً ما تفضل به حضرة العالم الجليل والخطيب المرشد الكبير، من عبارات التشجيع لصحيفة الفتح، والحث على بلوغ الغاية التي أنشئت لها ، ونبشر فضيلة الأستاذ بأن هل هذه الملة لا يزالون –والحمد لله- على جانب عظيم من الخير وقد حلت منهم هذه الصحيفة على حداثة عهدها في المحل الذي لم تكن تطمع في الوصول إليه بهذه السرعة. أما ضجيج أهل الباطل بباطلهم وسكوت أهل الحق عن الانتصار لحقهم، فغذا كان في نفسه مما يسوء وقعه في نفوس المخلصين فإنه جاءنا بفائدة ستكون عظيمة إذا أحسنَّا انتهازها، ومن دأب المكروه أن ينجلي في كثير من الأوقات عن شيء من الخير. ذلك بأن هؤلاء الملحدين – والمصفقين لهم من الإفرنج والشرقيين- ظنوا أن الإسلام انتهى أمره بخفوت صوت أنصاره فاندفعوا، قبل الأوان، بإظهار كثير مما عندهم، حتى تبينت نياتهم نحو الإسلام لأهل البصائر والأبصار جميعاً. ونحن نرى أن الخير للإسلام ظهور كتاب علي عبد الرزاق وكتاب طه حسين ثم مقالتا طه حسين في عدد ٦ المحرم من السياسة اليومية بعنوان «خطرات..» وفي عدد ٧ المحرم من السياسة الأسبوعية بعنوان «العلم والدين» لأن أمثال هذه الكتب والمقالات نذير إهاب بأهل الإيمان الصحيح من علماء المسلمين وأفاضلهم في جميع أقطار العالم الإسلامي إلى تنظيم العمل واتخاذ الأهبة، استعداداً ليوم له ما بعده... وأرانا منه قاب قوسين أو أدنى.

منع المسكرات

المؤتمر الدولي الخامس عشر
في تارنتو (إستونيا)

ينعقد في مدينة تارنتو من أعمال إستونيا المؤتمر الدولي الخامس عشر لمنه المسكرات، فيفتتح يوم ٢٢ يوليو وينتهي يوم ٢٩ منه.

وقد قرر مجلس الوزراء في جلسته المنقعد برئاسة حضرة صاحب الجلالة بقصر رأس التين ظهر يوم الاثنين الماضي ١٢ يوليو أن تشترك الدولة المصرية في مؤتمر منع المسكرات المذكور، وأن يمثلها فيها عبد العزيز غالب أفندي قنصل مصر في مدينة ميونيخ، وصدرت الأوامر إليه بأن يقدم عن هذا المؤتمر عند انتهائه تقريراً إلى الحكومة المصرية عما دار فيه من الأبحاث وما أصدره من القرارات.

كيف ابتدأت الدعوة إلى الإسلام؟

-٣-

تنظيم الدعوة

ابتدأ صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام سراً، ثم جهر بها في السنة الرابعة من النبوة، وجعل يوافي مواسم الحج كل عام، يتبع الحجاج في منازلهم بمنى يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة، ويسأل عن منازلهم، ويأتي إليهم في أسواق الموسم – وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز- وكانت العرب تقيم في موسم الحج بعكاظ شهر شوال[١]، ثم تجيء إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً[٢]، ثم تقيم بقية أيام الحج في سوق ذي المجاز[٣]. وكان صلى الله عليه وسلم يتتبع القبائل في تلك الأسواق يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام وما جاء به من الهدى والرحمة. وكان لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

كان يدعو القبائل في أسواق الحج، وكان يتصدى للقادمين إلى مكة يعرض عليهم الإسلام، فما ترك اجتماعاً إلا وبث فيه دعوته، ولا قدم بلده ذو مكانة إلا عرض عليه دينه؛ وناهيك بدعوة يبلغها مثل خاتم الأنبياء في بلاغته وذكائه، وناهيك بدعوة لسانها القرآن وحجتها ذلك الكتاب الذي ما قرع العالم ناموس أوفى منه بحاجات البشر وأشمل لمصالح الدين والدنيا. دعوة منظمة يقرع بها صاحبها آذان القبائل كل سنة من أمكنة اجتماعهم بموسم الحج، والقبائل بأسرها تسمع ما يعرضه صاحب الدعوة ولا تجيب ولا تقبل، وقريش من وراء ذلك تصد عن سبيل الله بما نظمته من طرق المقاومة للدعوة. وكانت ترسل خلفه من عائلته من يكذبه حينما يعرض دعوته على القبائل. ومع ذلك لم ييأس صاحب الدعوة ولم يتراجع في دعوته، وبالغ في تنظيمها، وبذل أقصى ما في وسعه في سبيل إذاعتها. وحينما أعرض قومه عن الإجابة، وبالغوا في النكير عليه لم يضعف ولم يستكن، وما زاده عنادُ قومه إلا مضاعفة الجهد في نشر الدعوة، لأنه يعلم صدق ما يدعو إليه ويوقن بأنه على حق، وأن الحق سينتصر في النهاية، فكان صلى الله عليه وسلم أفضل أولي العزم من الرسل وسيد من قاوم الباطل وبالغ في إيصال الحق إلى القلوب، وإبلاغ الهدى إلى النفوس، وقد شاهد بعيني رأسه نجاح دعوته، ورأى عاقبة صبره وثباته، إذ تلاشى أمام عزمه عنادُ قريش، وبطلت مقامة العرب، ودخل الجميع في الإسلام قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وزال ملك كسرى وقيصر على يد أتباعه. وما كان ذلك لولا فضل الله وثبات صاحب الدعوة وعزيمته التي لا تقف عند حد. ولقد علم أصحابه كيف يكون الصبر عند اشتداد الخطب وكيف يكون تنظيم الدعوة.

ولو أن المسلمين درسوا تاريخ الدعوة، واعتبروا بما فيه من الوسائل والطرق والمواعظ والمثل، واحتذوا مثاله وساروا على نهجه، لكان لهم اليوم شأن غير شأنهم الحاضر، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

في كتب السير حوادث كثيرة تتعلق بما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرض نفسه على القبائل. ومن تلك الوقائع ما جرى له مع بني شيبان بن ثعلبة، جاء في كتاب الروض الأنف: «ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم. قال علي: وكان أبو بكر مقدماً في كل خير. فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة. فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء غرر في قومهم، وفيهم مفروق بن عمر وهانيء بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك. وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جَمالاً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان تربيته، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال له مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تغلب ألف من قوة. فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضباً لحين نلقى، وإنا لأشد ما نكون غضباً لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا. لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: أوقد بلغكم أنه رسول الله؟ فهاهو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك. إلى من تدعو إليه يا أخا قريش؟ فتقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وإلى أن تؤووني وتنصروني فإن قريشاً قد ظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل على الحق، واللهُ هو الغني الحميد. فقال مفروق: وإلى من تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «قلْ تعالوا أتلُ ما حرمَ ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا

---

[١] عكاظ: نخل في واد بين نخلة والطائف، بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال. وكانت سوق العرب تقام بموضع منه يقال له «الأثيداء» وبه كانت حرب الفجار. وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها.

[٢] مجنة: بمر الظهران ، قرب جبل يقال له «الأسفل» ، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها.

[٣] المجاز: ماء ينبع من أصل جبل كبكب وهو لهذيل. وذو المجاز سوق سميت اسم هذا الماء لأنها كانت تقام على ناحية جبل كبكب عن يمين الأمام على فرسخ من عرفة.

أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون». وقال مفروق: وإلى من تدعو أيضاً يا أخا قرش؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون». فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والله لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك...

وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش وإني أرى أنَّ تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لِمجلس جسلته إلينا ليس له أول ولا آخر ظلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعتُ مقالتك يا أنا قريش، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك لِمجلس جلستَه إلينا ليس له أول ولا آخر، فإنا إنما نزلنا بين صريان اليمامة والسماوة. فقال رسول الله صلى الله عليهوسلم: ما هذان الصريان؟ فقال: أنهار كسرى ومياه العرب. فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبيه غير مغفور وعذره غير مقبول. وأما [ما] كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول، وإنما نزلناعلى عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه هو مما تكره الملوك. إن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم في الصدق، فإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه من جميع جوانبه. أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا. فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً».

ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي فقال: يا أبا بكر، يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم».

من هنا يتبين لك كيف كان يتلطف صاحب الدعوة الإسلامية في عرضها، وكيف كان يعرضها في أثناء المفاوضات أو المباحثات وفي هوادة ولين، داعياً إلى مكارم الأخلاق، مذكراً بالله ومبشراً ومنذراً، بدون فظاظة ولا غلظة، بل بالحكمة والموعظة الحسنة، مع البصرة والدقة، ومع تقدير المخاطبين حق قدرهم وإطالة التفكير مع ذوي الشرف والمكانة في قومهم، واختصاصهم بالعناية، لأنه كان يريد مع عرض الدعوة وتبليغها الدعوةَ إلى حمايته ونصره حتى يستطيع تبليغ الرسالة وهو في أمن على حياته التي كانت مهددة من قريش أهلِه وعشيرته.

عرض عليه بنو شيبان أن يؤووه وينصروه مما يلي مياه العرب، فشكرهم صاحب الدعوة وأثنى عليهم خيراً، ولكنه أفهمهم أن دين الله لن ينصره إلا مَن حاطه من جميع جوانبه.

كان صلى الله عليه وسلم يبحث عن قوم يتفانون في نصرة الإسلام، دخل الإسلام في قلوبهم فاستولى على مواضع الإحساس والشعور منهن، فوضعوا روحَهم على أكفهم وأموالهم بين أيديهم ابتغاء مرضاة الله ورغبة في إعلاء كلمة الإسلام.

يريد قوماً استولى عليهم الدين من جميع جوانبهم، فهو يبحث عنهم. وما أبعد تلك النظرة ، لأن للعقائد كل الأثر في إيجاد التطورات الهامة والانقلابات الخطيرة. وإن انقلاباً كالانقلاب الذي حدث في بلاد العرب يوم دانت بالإسلام ما كان يمكن أن يكون لولا بحث الرسول عن مؤمنين يهيمن الإيمان عليهم من جميع جوانبهم واهتداؤه إليه في الأنصار والمهاجرين ومن حذا حذوهم وسار على منهجهم.

عبد الباقي سرور نعيم

تركيا وحظيرة الإسلام

كتب كاتب في عدد ١٥ ذي الحجة من جريدة «كوكب الشرق» الغراء يقول: «إن تركيا اتُّهمت ظلماً بالخروج عن حظيرة الإسلام». فأجابه أمير من أمراء البيان العربي، وعلم من أعلام الكتاب المسلمين بمقالة دامغة، نشرها «كوكب الشرق» الزاهر يوم ٦ محرم قال فيها:

«فكرتُ في هذه الجملة كثيراً، ولم أجد لها جواباً أحسن من أن أقول لحضرة الكاتب: إن الشعب التركي لم يخرج أصلاً من حظيرة الإسلام، ولكن الحكومة التي تدير أموره في أنقرة قد ألغت الخلافة،

وأباحت للمسلم الردة،

ومنعت تعدد الزوجات ولو عند الضرورة،

وأجازت تزوج المسلمة بغير المسلم،

واتخذت قانون سويسرة المدني وفيه إباحة أن يأخذ الإنسان بنت أخته،
وأجبرت الوالدين على الرضي بأن بناتهم يرقصن مع الشبان،
وأمرت بخلط الشابات والشبان في المدارس ولو بعد البلوغ،
ومنعت الفقه الإسلامي بتاتاً من كل المملكة،
وألغت المحاكم الشرعية وكل شيء يقال له شرعي ولفظة «شريعة»،
وألغت مشيخة الإسلام وجعلت مكانها دائرة صغيرة اسمها «ديانت مديرلكي»،
وحملت جميع سكان تركيا على لبس القبعة، لمجرد التشبه بالإفرنج لا لشيء آخر،
وعاقبت بالقتل من تجرأ أن يهزأ بلبس القبعة، وقتلت مئات من مشائخ الدين،
وبدأت باستعمال الحروف اللاتينية بدل العربية. ومن المقرر أن هذه الحروف إذا كتب بها القرآن لم يمكن التلفظ بألفاظ القرآن. ولكنها حاسبة أنه إلى أن يتمكن استعمال الحروف اللاتينية لا يكون بقي في تركيا قرآن،
وأقفلت المدارس الشرعية كلها ، واكتفت عنها كلها بمدرسة تعلم اللاهوت على نسق الأوروبيين اسمها «إلهيات فاكولته سي»،
وضبطت الأوقاف الإسلامية وعبثت بشروط الواقفين،
وأمرت جرائدها أن تحمل على الإسلام حملة شعواء وتهزأ بالعالم الإسلامي (المتفسخ) أي المنتن اصطلاح اللغة التركية،
ومنعت الحج بدون تحديد مدة،
وأعلنت أنها تنظر إلى البلاد الإسلامية نظرها إلى البلاد الأخرى وأن ليس بينها وبين ممالك الإسلام صلة خاصة،
وعلمت غير ذلك من الأمور التي ذِكْرُ هذه التي أشرنا إليها يغني عنها.
فهل يجد الكاتب الجليل هذه القرارات وهذه القوانين داخلة في حظيرة الإسلام وأن حكومة تعمل هذه تكون مسلمة؟
أم لا يزال يُمني نفسه الأماني بأنها أخبار جرائد لا صحة لها؟
أم يقول كما قال بعضهم: هذه سياسة يُقصد بها دفع ضرر الإفرنج ولهذا فلا غبار عليها!
وبعد، فهل يعتقد صاحبُ المقال أن التفرنج بهذا الشكل يقي تركيا من خطر اعتداء الإفرنج؟
أفلا يرى أن الحبشة نصارى فعلاً، وهم[4] يحاولون اقتسامها؟
هل منعت القبعةُ والحروف اللاتينية موسوليني من أن يهدد تركيا باجتياح الأناضول وأن يقول لمراسل جريدة «أقشام»: إن إيطاليا خمسون مليوناً، فإن شاءت أن تفتح لنفسها طريقاً عرفت كيف تفتحه!
هل منعت القبعةُ، واتخاذ تركيا قانون العقوبات الإيطالي، الشاعر الأكبر جبرائيل دانونصيو من أن ينشر نداء يحث به الأمة الإيطالية على استرداد الأناضول الذي كان ملك الرومانيين أجداد الطليان بزعمه؟
هل تمنع القبعة ورقص العذارى مع الشبان في تركيا أن تغتنم فرنسا فرصة حرب تقع مع تركيا فتكر على كليليكية وتستولي عليها؟
هل منعت القبعة انكلترا من كسر تركيا في قضية الموصل؟
نعم إن هذه الحقائق عاد الأتراك مؤخراً يتأملون فيها لأن المثل التركي يقول: «تركك عقلي صكره دن كلير» أي: العقل التركي يعود فيما بعد إلى رأسه. والحقيقة أن السواد الأعظم من الأتراك كان يعلمها، لكنهم مغلوبون على أمرهم لا يقدرون على شيء.
وقال أن البلاشفة سفهوا رأي الترك في انسلاخهم من الأمم الشرقية، وأظهروا لهم عقم آمالهم في الفائدة السياسية من التقرب إلى الدول الغربية، وأنهم هكذا سيصبحون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. فعدلوا عن أن يُنادوا «شرقه وداع» وأن يحقروا الشرقيين. وأخذوا يتكلمون في وحدة الإسلام وأواصر الشرق، وكل هذا بعد أن كشرت لهم عن أنيابها بعضُ دول أوربا، وأرسلوا وفداً إلى مؤتمر مكة وقرروا نصب سفير هناك.
ولكن الذين يعلمون تاريخ أنقرة يعلمون أنه لما كان مصطفى كمال يحارب اليونان كان لا يفارق الجامع تقريباً. وكل جمعة يحضر قراءة المولد النبوي. وإذا نشبت المعركة أبرق إلى السيد أحمد الشريف السنوسي قائلاً: «المعركة ابتدأت. تداركونا بقراءة البخاري الشريف» ، وغير ذلك من مظاهر التدين. فلما انتهت الحرب بالظفر تغير كل ذلك، وجرت مظاهر لادينية ، مهما بالغ الإنسان لا يقدر أن يصفها. فلذلك فقدت الثقة في أناس يتلاعبون إلى هذه الدرجة. وكثير من العقلاء لا يجدون في علاقاتهم بالحجاز واليمن خيراً. بل إن بعض العرب يخشى هناك من دسائسهم. فمن أقرب الأمور أن يساوموا الأوربيين أن صح لهم على إحدى البلاد العربية. وهذه معاهدتهم مع فرنسا على خنق أنفاس السوريين شاهدة بما يصنعون إذا أتيحت لهم

[4] أي الأوروبيون.

الفرصة. وأكثر الظن أن رجوعهم إلى العلاقات مع الحجاز إنْ هو إلا لبث مبادئهم التي يسمونها «تجدد» في البقاع المقدسة وبين الذين يفدون إلى الحجاز من العالم الإسلامي. وقد ورد في بعض الجرائد الأوربية الكبرى رسالة من الأستانة تشير إلى ذلك: طالعْ «الطان» الفرنسوية، طالعْ «الفوشيسه تشا يتونغ» الألمانية. والحقيقة أن «التجدد» ليس بشيء مما يعملونه، وإنما هنا أمران: الالحاد والإباحة، ولا مصلحة للإسلام بنشرهما في الحجاز ولا بغيره. فلتقتصر أنقرة في هذه الدعاية على بلادها! ولتدخر هذه المنافع لنفسها! ولعلها شعرت بسخط الأتراك من سياستها هذه فأرادت أن تبين لهم أن مبادئها قد انتشرت في مهد الإسلام! فلا حرج أن تكون مقبولة في الأناضول. وآخر ما نقول: إن شفاء الأمراض لا يكون بالتعامي عنها، بل بذكرها صراحة حتى يحيى من حيّ عن بينة ويموت من يموت عن بينة. وقد تكون المصارحة هي أفضل وسائل الاعتدال. وماذا يغطي الإنسان وما يوم حليمة بسر.

مطّلع

الأزهر
ماضيه ، وحاضره ، والحاجة إلى إصلاحه

هو عنوان رسالة صدرت في هذا الأسبوع بقلم صاحب امتياز هذه الجريدة[5]، نظم فيها خلاصة الأنباء التي حفظها التاريخ عن ماضي الأزهر – ذلك المعهد العلمي الإسلامي العظيم- وتداول أيدي أمراء المسلمين عليه بالإصلاح والبناء من نحو ألف سنة ، إلى أن صار إلى الحالة التي هو عليها اليوم في وضعه وتقسيمه ، وما فيه من أروقة ومرافق وخزائن كتب. وأتى على ذكر مشائخ الأزهر من القرن الحادي عشر الهجري إلى اليوم، متوخياً أن تكون هذه الرسالة مرجعاً سهل التناول حسن الترتيب للخلاصة التاريخية التي أشرنا إليها.

ولما كان الأزهر والمعاهد الإسلامية التابعة له في المملكة المصرية أعظم جامعة للعلوم الإسلامية في الدنيا، ولا يمكن أن تتجدد للمسلمين حياة إصلاحية متينة الدعائم إلا إذا قاد حركة الإصلاح علماءُ من أهل الكفايات العالية في جميع مطالب الحياة العصرية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإحداث إصلاح في مناهج الأزهر يحمل رجاله على أخذ الشريعة الإسلامية من ينابيعها الصافية، وعلى النظر إلى وسائل قوة الإفرنج من أصولها العلمية والعملية، فيكون الأزهر حينئذ ينبوع ثقافة إسلامية مجهزة بعلوم القوة والحياة، والفلاح والنجاة. لذلك رأي مؤلف هذه الرسالة أن يختمها بفصل في الإصلاح الإسلامي وما يتوقف عليه من إصلاح برنامج الدراسة في الأزهر. فجاءت هذه الرسالة على صغرها وافية بموضوعها، ولا يستغني عن الاطلاع عليها أحدٌ ممن يرغب في معرفة حقيقة أقدم معهد علمي ثبت على نوائب الدهر وشهد جميع الأدوار التي مرت على المسلمين في نحو ألف سنة. ورسالة «الأزهر» في نيف وخمسين صفحة، وقد طبعت في المطبعة السلفية بشارع الاستئناف على ورق جيد وثمنها قرشان. فنلفت الأنظار إليها.

---

[5] أي محب الدين الخطيب ، رحمه الله.